الفصل الرابع

هل يوجد المزيد من أنواع الذكاء ؟

Are There Additional Intelligences?

ففي الطبعة الأولى من كتابي **Frames of Mind** أعددت قائمة بسبعة أنواع من الذكاء نظراً لما يتوفر فيها من المعايير الثمانى التى وضعتها ، لكننى كنت على استعداد للتسليم بأن القرار الخاص بشأن تخصيص سبعة فقط لم ينبعث من ضرورة علمية أو حتى ضرورة منطقية . ولقد تعرضت منذ ذلك الحين إلى تساؤلات متكررة بشأن مدى إمكانية حدوث أى توسُعات فى القائمة . وما قدمتُه فى البداية كان بمثابة إستجابة تفاؤلية (تبعث على التفاؤل) : " لطالما سألنى طلابى إذا ما كانت توجد حالة ذكاء خاصة بالطهى وأخرى خاصة بروح الفكاهة وثالثة خاصة بالنواحى الجنسية . وقد توصلوا فى النهاية إلى أننى بإمكاني التوصل إلى قدراتى العقلية الخاصة بى وحدى فقط . ولقد تأملت بشكل أكثر جديَّة عدداً من أنواع الذكاء الإضافية المطروحة أمامى لكننى لم أُدرك إلا مؤخراً أننى يجب من باب الحذر ألاّ أتوسع فى القائمة أكثر من ذلك.

وسوف أطرح هنا الدليل على وجود ثلاثة قدرات عقلية جديدة وهى:

ذكاء العالم بالتاريخ الطبيعي ، الذكاء الروحاني ، الذكاء الوجودي . ولتحديد مدى قوة الدليل المطروح بشأن تلك المتغيرات الثلاثة السابق ذكرها ولتحديد مدى إمكانية تخصيص نوع جديد من أنواع الذكاء لقدرة إنسانية معينة من عدمها فإن ذلك يتطلب إصدار حُكم . ومهمتى هنا هى الكشف عن عملية جديدة خاصة بتحديد ماهية " الذكاء العقلية " والتصريح بتحفظاتي الخاصة بمسألة التوسع فى نشْر الفكرة داخل إطارات أقل إحكاماً .

ذكاء العالم بالتاريخ الطبيعي

The Naturalist Intelligenc

وما أقوم به هو طرح كل نوع ذكاء على حدة بشكل عام وفقاً لما يُطلْق عليه " حالة غرضية" – وهى مهمة قيِّمة ومُتَعَارَفْ عليها إجتماعياً والتى يبدو أنها تعتمد بشدة على قدرة عقلية مُعينَّة . وبالتالى فقد خصصت " الشاعر " ليكن مسئولاً عن التعبير عن الذكاء اللغوي ، والعَالِمْ المتخصص بمجال الحاسب الآلي ليمثل الذكاء الرياضي – المنطقي ، " والبائع أو الطبيب النفسانى " كْى يمثلان الذكاء الخاص بالعلاقات بين الأشخاص .

إن المصطلح الأول " ذكاء العالم بالتاريخ الطبيعي" يربط بين " وصفْ الذكاء الداخلي" والمهمة التى يقُدرَّها العديد من الثقافات . فالعَالِمْ التابع لمذهب الطبيعة ينُم عن خبرة فى عمليتّى الإدراك والتصنيف للعددِ الهائل من الأجناس – النباتية والحيوانية – الموجودة داخل بيئته أو بيئتها . ذلك حيث أن كل ثقافة تقدر وتُكافئ الأشخاص الذين يميزون فقط بين أعضاء فصيلة من الفصائل (أنواع الكائنات الحية) والتى إما أن تكون قيمّة بشكل

خاص أو خطيرة بشكل ملحوظ بل أيضاً يمكنهم وبشكل ملائم تصنيف كائنات دقيقة جديدة أو غير مألوفة . ففى الثقافات التى تخلو من العلوم الشكلية (الرسمية)، ، سنجد أن العالم الطبيعى يتمثل فى الشخص الذى يتمتع بمهارة أكبر فى تطبيق " التصنيفات المقبولة والخاصة بالعشائر المختلفة وفقاً لأجناسها ؛ أما داخل الثقافات التى تتضمن إتجاهاً علمياً ، سنجد أن العالم الطبيعى يتمثل فى عالم الأحياء الذى يتولى عمليتى إدراك وتصنيف الفصائل وفقاً للتصنيفات الشكلية المقبولة حسب أجناسها ، على سبيل المثال ما قام به العالم السويدى **Carolus Linnaeus** فى فترة القرن الثامن عشر (1700م) من ابتكار التصنيف الخاص بالفصائل " النباتية ".

إن كلمة " عالم بالتاريخ الطبيعي " تُشير فى الثقافة الغربية ، مباشرة إلى الأشخاص ذوى المعرفة المكثفة بعلم الأحياء . وهنا يأتى إلى أذهاننا عالم البيئة **Rachel Carson** وعلماء الطيور ***John Janes Aueluobn*** و ***Roger Tory Peterson*** ، كذلك فإننا نتذكر علماء آخرون ممن قاموا بدراسة الكائنات الدقيقة لأسباب نظرية أكثر منها عملية ومن بينهم يأتى: ***Stephenjay Gould , Ernst Mayr , Louis Agassiz , Charles Darwin*** و ***E.O.Wilson*** . ومن المثير للاهتمام ما ذكره ***Darwin*** حول أنه " وُلِد من صغره كعالم بالتاريخ الطبيعى " وكذلك فقد أطلق **Wilson** عنوان " عالم بالتاريخ الطبيعى " على سيرته الذاتية عام 1994 . وإدراكى بعدم إمكانية درج وتصنيف هؤلاء الأفراد فى الوقت الراهن وفقاً لأنواع الذكاء السبعة السابق ذكرها هو ما قادنى للتفكير فى صياغة ذلك الشكل الإضافى من أنواع الذكاء وكذلك إلى تفسير المجال الذى تدور من خلاله أنواع الذكاء للعالم بالتاريخ الطبيعى بشكل أكثر إتساعاً .

إن تطبيق هذه القدرات فى معرفة وتبرير التفاوتات يمكن أن يتم من خلال وسائل رؤية عادية أو فى ظل وسائل تكبيرية أو بوسائل غير بصرية، فعلى سبيل المثال ، يمكن أن يصبح الشخص الكفيف أكثر دقة (حِدَّة) فى إدراك ومعرفة الفصائل المختلفة من غيره من الأشخاص والدليل على ذلك

أن العالم الطبيعى الهولندى Geermat Vermig وهو أحد علماء القرن العشرين المعروفين – كان يعتمد فى أبحاثه على حاسة اللمس . كما يبدو من المعقول أيضاً أن نفترض بأنه يُمكن إستغلال قدرات العالِم بالتاريخ الطبيعى فى موضوعات اصطناعية . فالطفل الصغير الذى يكون على إستعداد أن يميز ما بين النباتات أو بين الطيور وحتى الديناصورات يستحضر نفس المهارات (الذكاء) عندما يقوم أو تقوم بتصنيف الأحذية الخفيفة ، السيارات ، أجهزة الصوت ، أو الُرخام (المرمر) .

انطلاقاً من خلال المعايير الثمانية المقترحة فى Frames of Mind (والتى تمت مناقشتها فى الفصل الثالث) ، فإننا سنجد أن ذكاء (المهارة العقلية) العالِم بالتاريخ الطبيعى راسخ بشدة كباقى أنواع أنواع الذكاء الأخرى . وكبداية فإننا يوجد لدينا القدرات الجوهرية المسئولة عن إدراك الأمثلة المختلفة بوصفها أفراد داخل مجموعة معينة (أو بشكل رسمى أكثر هى ما يطلق عليه " الفصيلة ") ، والمسئولة أيضاً عن التمييز بين أعضاء الفصيلة الواحدة ، وإدراك وجود فصائل أخرى مجاورة ، ورسم وتنسيق العلاقات بين تلك الفصائل العديدة ، بشكل رسمى أو غير رسمى . ومن الواضح أن أهمية ذكاء العالِم بالتاريخ الطبيعى راسخة جيداً فى التاريخ الإرتقائى (التطورى) حيث يعتمد بقاء الكائن الدقيق حيًّاً على قدرته على التمييز بين الفصائل المتشابهة (الأجناس المتشابهة) وتجنب بعض (الحيوانات المفترسة) واستكشاف أنواع أخرى (إما كفريسة أو للعب معها) .والذكاء للعالِم بالتاريخ الطبيعى لا يطرح نفسه فقط فى حالة الحيوانات الرئيسية القريبة من الكائنات البشرية بشكل إرتقائى ، فالطيور أيضاً بإمكانها تمييز الإختلافات بين أجناس النباتات والحيوانات المختلفة (مشتملة على الأجناس لكن ليس داخل بيئتها الطبيعية المتوقعة .) بل بإمكانها حتى إدراك هيئة الكائنات البشرية فى الصور الفوتوغرافية المختلفة.

وعندما نتجه لتناول دور العالم الطبيعى فى الثقافة البشرية فإنه من الجدير بالذكر أن نشير إلى أن العالم الطبيعى المتفتح جداً يقوم بما هو أكثر

من مجرد تطبيق أنواع الذكاء الخاصة بمبادئ علم التصنيف . وبعَرضْ ما أطلق عليه, Wilso الولع بالأحياء Biophiha ، فإن العالم الطبيعي يكون في قمة إرتياحه داخل عالَمْ الأحياء والكائنات الدقيقة ، وقد يمتلك كذلك موهبة الإعتناء وترويض والتعامل برقة مع المخلوقات الحية المتنوعة . وتلك الإمكانيات لا تتواجد فقط مع " الحالات الغرضية " التى نقلتها لكم حالاً ، لكنها تتواجد أيضاً مصاحبة للعديد من الأدوار الأخرى التى تتراوح ما بين الصيادين وصيادى السمك والفلاحين والبستانيين والطُهَاة . وحتى القدرات البعيدة ظاهرياً – كإدراك نوع الأتوموبيل (السيارات) من أصوات محركاتها أو الكشف عن نماذج جديدة داخل معمل علمى أو تمييز النماذج الفنية– قد تساعد جميعها على إستغلال آليات قد نشأت أصلاً بسبب فعاليتها فى التمييز ، لنقل مثلاً ، بين الأنواع السامة والغير سامة من التوت والأفاعى واللبلاب . وبالتالى فمن الممكن أن تبنى جميع مواهب إدراك الأنماط التى يتمتع بها الفنانون وعلماء الإجتماع والعلماء الطبيعيين على أساس المهارات الإدراكية الجوهرية التى يتميز بها ذكاء العالم بالتاريخ الطبيعي .

ويمكن إشتراط وجود مقياس متدرج يتراوح ما بين الشخص البسيط وبين الخبير كى يستعان به في الكشف عن عالم بالتاريخ الطبيعي ناشئ وذلك مع الاتجاه التطورى الخاص بأنواع الذكاء الأخرى وليس من الضرورى وجود أى تعليم شكلى فى المراحل الأولى ، لكن من الأفضل توفر حقول معرفة شكلية كحالة للدراسة مثل الحشرات وعلم النبات والتى قد نشأت لهدف تطوير ونشر مهارات العلماء بالتاريخ الطبيعي .

وأحد المصادر المعلوماتية الهامة حول إستقلالية أحد أنواع الذكاء يتأتى من الدراسات التى تُحدّد الأفراد الذين إما يتفوقون فى أو ينقصهم قدرة مُعينة وكذلك القطاعات العصبية " المعينة " والتى يبدو أنها تساعد فى خدمة تلك القدرات . وبالتالى فإن وجود . و إستقلالية أنواع الذكاء الموسيقية واللغوية يبُرزان بتحديد مراكز المخ التى تتوسط بين عمليتى التشغيل الموسيقى واللغوى وكذلك تحديد الأفراد الذين تتراوح فئاتهم من الأطفال

العباقرة إلى العلماء– والذين يُظهرون قدرات فردية والتى تكون قدرات إما مبكرة أو غير متوفرة بشكل مثير للدهشة .

فكما يكون معظم الأطفال على استعداد لامتلاك ناصية اللغة فى وقت مبكر فكذلك نجد أن معظم الأطفال عُرضه لإستشكاف عَالَمْ الطبيعة . إن شهرة الديناصورات بين الأطفال ذوى الخمسة أعوام عمراً لا تعتبر مصادفة! ورغم ذلك فإن مجموعة معينة من الأطفال الصغار يظهرون بالتأكيد إهتمام مُبكر وواضح بالعَالَمْ الطبيعى ، إضافة إلى ظهور قدرات حادة لديهم خاصة بتحديد وتوظيف العديد من التفاوتات . إن السيرات الذاتية لحياة علماء الأحياء تسجل بالوثائق بشكل منتظم انبهار مبكر بالنباتات والحيوانات ودفعة لتحديد وتصنيف و التفاعل مع تلك الفئات الحيوانية والنباتية ، ويُعد كل من : **Darwin , Gould** . و **Wilson** فقط من بين الأعضاء الأكثر شهرة داخل تلك المجموعة من العلماء . إنه من المهم ذكر أن تلك النماذج لم تترك صدى يتكرر فى حياة علماء الطبيعة الذين – كما في حالة الأطفال – غالباً ما كانوا يكشفون عن الوقائع المرئية للقوى الخفية (غير المرئية) (كالكهرباء والجانبية الأرضية) أو غالباً ما تلاعبوا بالأنظمة الكيميائية أو الميكانيكية . وبالمثل فإن علماء الاجتماع غالباً ما كانوا يسعون – خلال مرحلة طفولتهم– وراء ممارسة الأنشطة الكلامية ، أو وراء قراءة الكتابات الواقعية ، أو البحث عن عمل علاقات مع أشخاص آخرين .

فى الوقت الذى يتمتع فيه أفراد معينون بمواهب إدراك النماذج والأنماط الطبيعية ، نجد أن آخرين يعانون من إعاقة فى هذا المقام . وأكثر الأمثلة المثيرة فى هذا الشأن والتى يشيع وجودها داخل الدراسات التجريبية والسريرية (الطبية) – هى عن الأشخاص الذين يعانون من تلف فى خلايا المخ ويبقون قادرين على إدراك وتسمية الأشياء غير الحَّية لكنهم يفقدون القدرة على تحديد الكائنات الحَّية – أو عن الأفراد الذين يظهرون المشكلة المعاكسة من القدرات وحالات العجز . لكن تحديد أى المراكز العصبية هى التى تتحكم فى القدرات المسئولة عن إدراك وتسمية الأشياء الحية وغير

الحية لم تتحدد بعد بشكل قطعي . قد يتمثل إدراك الأجناس بأشكال مختلفة وفى الأشخاص المختلفين اعتماداً ، على سبيل المثال ، على إذا ما كانت تلك الأجناس معروفة بشكل مبدئى من خلال الرسومات والصور أو من خلال التعاملات المباشرة مع النباتات والحيوانات المعينة . ولكن بما أن حالة ذكاء العالم بالتاريخ الطبيعي للكائن البشرى تبدو مرتبطة بصلة وثيقة بالذكاء للحيوانات الأخرى ، فقد يمكن التأكيد من نوعية القطاعات الموجودة بالمخ والمسئولة بشكل حيوى عن عمليه الإدراك الطبيعى . إن تحديد الشبكات العصبية المشتركة فى أشكال معينة من عملية الإدراك – مثل الإدراك بالوجه أو بالكف – قد يمدنا بالدلائل الهامة فى هذا الشأن .

إن أنواع الذكاء للعلماء بالتاريخ الطبيعي لم يتم دراستها من قِبلَ علماء النفس ، الذين ظلوا يستخدمون وبشكل تقليدى المثيرات الصناعية (مثل الأشكال الهندسية) عند تقييم عملية إدراك الرسومات (الأنماط) . وبالتالى ، فإن حصيلة دراساتهم لم تقدم إلا القليل من المعلومات حول المزيد من الأشكال الطبيعية لعملية التصنيف . وبالمثل ، فإن المسئولين عن إعداد الاختبارات نادراً ، هذا إذا كان يحدث أساساً ، ما كانت اختباراتهم تشتمل على بنود بهدف تقييم مهارات الأشخاص بصفتهم أعضاء داخل كل جنس من الأجناس أو المهن المختلفة (أو لتقييم المهارات الأخرى التى يتمتع بها العالم بالتاريخ الطبيعى) . ولكن أحد الأعمال الاستثنائية المهمة هو التصنيف الذى قامت به العالمة النفسانية **Eleanor Rosch** وزملاؤها . ولقد كان يدور بحثها حول اقتراح وجود آليات نفسانية خاصة تساعد فى تحديد " الأنواع الطبيعية " (على سبيل المثال ، الطيور أو الأشجار"؟) . وتقوم بتنظيم تلك الأفكار وفقاً لتشابها مع النماذج الأولية (على سبيل المثال ، كيف يتشابه الكائن الحى محلّ النقاش مع " الطير " أو " مع الشجر " ؟) فَقدْر كبير من التعليم اللغوى المبكر لدى الأطفال وتصنيفهم للأشياء يبدو أنهما يبنيان على تلك الأشكال التصنيفية الطبيعية أكثر منها على الأشكال التى إنتشرت (أو أُعيدت صياغتها) للتعامل مع الأشياء المُصنَّعة .

أن آخر المعايير المستخدمة فى تحديد مُعَّدل الذكاء هو قابليته للانغماس فى نظام رمزى . إن الأنظمة التصنيفية واللغوية المتواجدة داخل كل ثقافة من أجل تصنيف النباتات والحيوانات تشهد بعالمية ذلك الملمح ــ ففى الثقافة الغربية فإننا ندين بشكل خاص لـ **Aristotle** و **Linnaeus** لاكتشافاتهما الرائدة فى علوم التصنيف ــ إن الأعمال الأدبية – بداية من الرسومات الموجودة على جدران الكهوف وصولاً إلى الرقصات الشعائرية وملاحظات مصممى الرقصات – جميعها تمثل أساليباً أخرى من أساليب الاستحواذ على الملامح المحددة لظواهر عالم " العالم بالتاريخ الطبيعى " . إن قدراً كبيراً من الحياة الروحانية والدينية – متضمنة الشعائر المقدسة – يرتبط بشكل وثيق بالعالم الطبيعى ويسعى إلى الاستحواذ عليه أو التعليق عليه من خلال أساليب تعد قيمة داخل الثقافة الخاصة بها .

إن مراجعتى هذه تشير إلى أن ذكاء العالم بالتاريخ الطبيعى يستحق بوضوح إضافته إلى قائمة أنواع الذكاء السبعة الأصلية . إن تلك القدرات الإدراكية القيمة لدى الكائن البشرى ، والتى كان على سابقاً تجاهلها أو تهريبها داخل الذكاء الفراغي أو الرياضي – المنطقي تستحق أن يتم جمعها تحت قاعدة واحدة متعارف عليها ؛ ولتحاشى الرسميات الشكلية . فنتيجة لذلك قد إعترفت بوجود نوع ثامن للقدرات العقلية عن طريق عملية خطابية أدائية بسيطة. حيث يمكن إستخدام عمليتى في المراجعة هذه فيما بعد ، للتفكير فى – وإذا كان ملائماً – دمج قدرات عقلية إضافية داخل عائلة أنواع الذكاء للكائن البشرى .

تنوعات الحياة الروحانية

The Varieties of Spiritual Life

إن مملكة العالمْ الطبيعى تبدو بسيطة ومستقيمة . ولكن على النقيض منها فإنه حتى المحاولة المترددة للدخول فى عالم الروحانية يكشف لنا عن صورة أكثر تعقيداً بكثير . فأى مناقشة حول الروح – سواء كانت مطروحة حول الحياة الروحانية ، أو الذكاء الروحاني ، أو الشعور الروحانى ، أو كهبة من أجل الدين ، أو الروح السامية– تصبح مثيرة للجدل داخل العلوم المختلفة ، هذا إذا لم تكن كذلك بالفعل داخل العالم الأكاديمي . فاللغة والموسيقى والفضاء والطبيعة وحتى فهم الأشخاص الآخرين – جميعها أشياء تبدو بسيطة ومستقيمة نسبياً . ذلك حيث أن العديد منا لا يدركون الروح بقدر ما يدركون العقل والجسد ، وكذلك فإن العديد منا لا يمنحون تلك الحالة الوجودية للحالة الروحانية أو الروح السامية ، كما يفعلون – ولنقل مثلاً – مع الحالة الموسيقية أو الحالة الرياضية .

وحتى هؤلاء الذين ليس فى إمكانهم التعرف على المملكة الروحانية أو العلم الروحانى يدركون أهميته لمعظم الكائنات البشرية – بل أن البعض فى الواقع قد يلاحظ أهميته الزائدة عن الحد . فالرؤساء (وزوجاتهم) يستشيرون المنجمين بدلاً من استشارة المؤرخين أو الأطباء ، والأديان تُنقِذ آلاف الأرواح لكنها أيضاً تساهم فى وفاة العديد من الأرواح ، والكتب التى يدور فحواها حول الروح أو النفس تكتسح و تطيح بالكتب التى تتناول الذاكرة أو العملية الإدراكية والمتراكمة على الرفوف الخاصة بعلم النفس داخل محلات بيع الكتب . ومما يدعو للأسف أن غالبية الطُلاب الدارسين للعلوم البيولوجية والإدراكية ينصرفون تماماً ولا يشغلون بالأسئلة التى تدور

حول الطبيعة الروحانية تاركين تماماً تلك المملكة للمشعوذين والمؤمنين الحقيقيين بها .

إن القرار السابق بشأن إزالة الذكاء الروحاني بعيداً وعدم وضعه فى الاعتبار ، لم يعد فى الواقع مُبَرراً حيث الأدعى إتخاذ قرار بشأن قبوله بالأمر أو بالإيمان. وفى النهاية ، فلحظة إلمام المرء بفهم المملكة الشخصية داخل دراسة حول الذكاء ، فإن مثل تلك الميول والتداعيات الإنسانية كالتداعيات الروحانية يجب أخذها فى الاعتبار بشكل فعلى . ورغم أنه لا توجد مبررات سهلة لاتخاذ مثل هذا القرار ، لكن العديد من أنواع الذكاء الأخرى تتناول ظواهر أخرى بخلاف الأمور المادية المطلقة . إذا كان العالم المجرد الخاص بالرياضيات يتشكل من مساحة معقولة من الذكاء (وقد يتحدى البعض ذلك الحكم) – إذا فما المانع الذى يعوق وجود مثل هذا الحيز الفكرى التصورى للجانب الروحانى ؟

دعونا هنا ، نفترض أنه من المنطقى الاستعلام حول إمكانية وجود ذكاء روحانى أو مجموعة من أنواع الذكاء المرتبطة بالروح . ما هى القدرات والسمات التى يتم استحضارها عند دخول شخص المملكة الروحانية. لكى نتناول هذا المجال ، فإننى أقترح ثلاثة حواس روحانية مميزة . وللمساعدة على المناقشة ، فإننى أقترح أيضاً على القارىء أن يضع فى ذهنه وسيلة تقليدية أو منظمة (مثل المشاركة فى الطقوس الدينية الرسمية) وكذلك الإهتمامات الروحانية التى يتم تناولها بأسلوب شخصى أو خصوصى أو حتى إيداعى أكثر .

الروحانيات بوصفها إهتمام

ذو قضايا وجودية أو كونية

تعكس أول نوعية من الروحانية رغبة فى معرفة الخبرات والموجدات الكونية والتى لا يمكن فهمها بسهولة بالمعنى المادى لكنها – رغم ذلك – تبدو مهمة للكائنات البشرية . فإذا أمكننا نحن البشر الإرتباط بعالم التاريخ الطبيعي ، فإننا يمكننا أيضاً الإرتباط بعالم ما فوق الطبيعة– بالكون الذى يمتد لما هو أبعد مما يمكننا إدراكة مباشرة ، وبالغموض الذى يسود وجودنا الخاص ، و بتجارب الحياة والموت التى تجاوز ما نواجهه بشكل روتينى. إن مملكات الأساطير والدين والفن لطالما عكست باستمرار مجهوداتنا لفهم التساؤلات ومصادر الغموض والمعانى المطلقة للحياة ومنها :من نحن ؟ من أين أتينا ؟ماذا يخبئ المستقبل لنا ؟ ما سر وجودنا ؟ ما هو معنى الحياة أو الحب ، أو الخسائر المأسوية ، أو حتى الموت ؟ ما هى طبيعة علاقتنا بالعالم الخارجى الواسع وبالكائنات التى يفوق وجودها حدود فهمنا مثل آلهتنا أو إلاهنا ؟

وبينما تحاول الكائنات البشرية حل الألغاز التى تفرضها تلك التساؤلات بمفردها أو خلال مناقشات تُجريها مع جيرانها فإنه قد تم إنشاء أنظمة منظمة تتناول تلك القضايا عبر القرون المختلفة . فداخل أى ثقافة من الثقافات المختلفة ، قد يقوم الناس بالاختيار (أو يصبحوا مضطرين) لتبنى ميثاق متواجد بالفعل أو مجموعة من المعتقدات حول تلك القضايا الخاصة بالاهتمام المُطلق . فالبعض يختار الترجمة (النقل) التقليدية للمعرفة ، بينما يقوم البعض الآخر بخلق مزيج شخصى (قد يكون خصوصى) من المعرفة الروحانية.

إذا تمت صياغته بهذه الطريقة ، فإن " محتوى المعرفة الروحانية " قد يبدو بسيطاً بدرجة نسبية . ولكن ، عملياً ، فإن مسألة تعريف " المحتوى " بأنه يخضع لسيطرة وسيادة العارف الروحانى الافتراضي من حيث مملكته ، قيمة الصدق ، والحدود المفروضه عليه – تعتبر مسألة مثيرة للجدل . إننى فى الواقع ميال إلى الاستنتاج – نتيجة للعدد الهائل الذى قرأته من المؤلفات حول المملكات الروحانية – بأن محتوى المعرفة الروحانية يشير إلى كل شئ: العقل – الجسد – النفس – الطبيعة – القوى الخارقة للطبيعة ، و أحياناً إلى لا شئ ! إن هذا الانتشار التصورى يتناقض بشدة مع ميادين المعرفة العلمية و الرياضية ، والتى تعتبر محدودة نسبياً وغيرة مثيرة للجدل .

الروحانيات بوصفها إنجاز

لـ " حالة الكينونة أو الوجود

عند تأمل أى نوع من أنواع الذكاء ، فعلى المرء أن يفرق بين أثنين من أدوات المعرفة ألا وهى : "معرفة كيف " و" معرفة ماذا " . أما بالنسبة لباقى أنواع الذكاء الأخرى فإن هذا التميز لا يثير الجدل ، لأن محتوى الذكاء واضح تماماً (فمثلاً ، يتضح ذلك فى النوتة الموسيقية أو الترتيبات المكانية) ومن الواضح جيداً أن الأشخاص يختلفون فى مهارتهم وخبراتهم فى التعامل مع الحقل أو الميدان العلمى .

ورغم ذلك ، فعندما يرتبط الأمر بالمملكة الروحانية فإنه يجب توضيح الفرق بين شكلى المعرفة السابق ذكرها بدقة أكثر . فالحاسة الأولى من الحواس الروحانية تصور بدقة مملكات الخبرة ، أو ميادين الوجود التى يسعى الناس إلى فهمها . فسنجد بالطبع أن العديد من المجتمعات تعتبر فئات معينة من الأشخاص بأنهم أكثر مهارة فى تحصيل حالات نفسانية معينة أو

بأنهم قد خاضوا تجارب ظاهرية والتى قد تعتبر " روحانية " . ويوجد إتفاق شامل ومنطقى داخل تلك المجتمعات على نوعية الأشخاص الذين يتمتعون بمهارة المعرفة الروحانية. بعض الأشخاص يتمتعون ببساطة بمهارة أكثر من الآخرين فى توسط ، والوصول لحالات الغشية (السبات) ، وتخيل الأشياء الغامضة (الماورائيات) ، أو التواصل مع الظواهر الذهنية أو الروحانية أو النفسانية . إن بعض الحالات المخية والنفسانية فى الواقع ، قد تترابط بشكل متوقع ، مع عملية تحصيل تلك التغيرات الحادثة فى عملية الوعى (الإدراك) . ومن الجدير بالملاحظة أن الأشخاص الممارسين للعلوم الروحانية ورياضة اليوجا والوسطاء الروحانين هم الأشخاص القادرين على الوصول لتلك الحالات الروحانية وإنجازها وربما يكونون هم الأشخاص القادرين على مساعدة غيرهم للوصول لتلك الحالات

ومع وضع ذلك النوع الثانى من أنواع "الروحانيات" في الإعتبار ، فقد يستطيع المرء أن يعيد الاستشهاد بنقاط الاختلاف التى تم توضيحها مبكراً. فمن الممكن الوصول للحالة الروحانية باتباع "الطريق التقليدى" – مثلاً عبر تنفيذ مجموعة من الممارسات المقترحة بواسطة قسيس معين أو عالم روحانى أو مرشد روحى معين . لكن بإمكان الناس تحصيل مثل تلك الحالة المتقنة خلال هيئة أكثر خصوصية من هيئات التحكم فى العملية الإدراكية – بواسطة الحث (الإثارة) عن طريق تناول مواد معينة (مثل عقاقير الهلوسة) أو عن طريق التجارب الحسية (مثل الاستماع للموسيقى ، أو تسلق الجبال) . إن الشخص الفطين والقوى الملاحظة قد يقر جيداً أنه من المعقول التفكير فى "الموهبة التى يتميز صاحبها بتحقيق حالات ذهنية معينة، مثل الكذب والإدعاء بملكة التحليل العلمى . وبالمثل ، فإن المرء قد يفسر "رياضة الجمباز" بأنها ملمح من ملامح التحكم فى الحالات العقلية باعتبارها فرع من فروع الذكاء العقلية الخاص بالإحساس بالحركات الجسدية .

لكن المؤمنين بالروحانية أو المتحدثين باسمها يتمادون فى ادعاءاتهم أن الاهتمامات الروحانية تؤدى إلى الاصطدام بحقيقة أعمق أو أسمى . فوفقاً

لهم ، فالحالة ليست فقط – كما يدعّى البعض فهم أنها حالة لا جدال فيها – وهى أن الناس بحاجة إلى تحديد وضعهم وفقاً للكون الذى يعيشون فيه بأكمله ووفقاً لأصغر جزء فيه – أو حتى أن بعض حالات الإدراك تعتبر حالات منشودة عالمياً . إضافة إلى ذلك ، فإن الفئات المتعصبة ، تتجادل بشأن وجود محتوى معين ألا وهو – الحقيقة الروحانية – التى يستطيع التوصل إليها فقط بعض من أو هؤلاء الذين اعتادوا أن يتبعوا مساراً معيناً . وغالباً جداً ما يؤدى ذلك المنحدر الزلق إلى اعتقاد بأنه يمكن تقسيم العالم بين فئتين: هؤلاء الذين يتأهلون على بعض الأسس المادية أو الدينية أو الروحانية وهؤلاء الذين لا يفعلون ذلك مطلقاً . وعلاوة على ذلك ، فإنه بينما تقاس عملية تحصيل حالات متغيرة من القدرات الإدراكية بشكل موضوعى ، فإن الشئ ذاته لا ينطبق على عملية تحصيل حالة من الحقيقة الروحانية . وهنا ، نكون قد تركنا مملكة الذكاء وتحولنا إلى دائرة "العقيدة" .

إذا نظرنا إلى الأمر من منظور واحد ، فإنه يمكن التفكير فى هاذين الشكلين من المعرفة : السيطرة على مجموعة من المحتويات ، والسيطرة على مهارة تبديل وتغيير الحالة الإدراكية للمرء – بوصفهما استعمالات للعقل ، هذا سواء أعتبرهما المرء استعمالات عميقة أو حتى استعمالات تافهة، استعمالات ملهمة أو استعمالات مضللة. لكن النقاشات الروحانية المبنية على أساس إدراكى قد أثارت المشكلات ، نظراً لأن الأشخاص المهتمين بالأمر ليعتبرون أن "جوهر الروح" يمثل بشكل مبدأي ومنطقى "ظاهرة" ألا وهى : تحصيل حالة معينة من "الكينونه" والتى يطلق عليها "شعور بالاستسلام" – وليست ميداناً يتضمن أى نوع من أنواع حل المشكلات أو صُنع المُنتجات . ففى الواقع ، يرى البعض هذا الاهتمام الروحانى بأنه إهتمام مؤثر أو عاطفى من الدرجة الأولى . حيث أنه متمركز داخل شعور ذو نغمة أو شدة معينة – ومن ثم ، فإنه بذلك يتعدى ويفوق حدود البحث والتقصى المعرفي .

الروحانيات بوصفها
عامل مؤثر على الآخرين

قد يعتبر بعض الأشخاص روحانيين بسبب التأثيرات التى يحدثونها ظاهرياً على الآخرين ، سواء من خلال الأنشطة التى يمارسونها ، حتى ربما أكثر من ذلك ، من خلال شخصياتهم المنحرفة . فمثلاً ، مع معرفة حياة "الأم تيريزا Mother Teresa" وأنها كانت مباركة من الأب Pope Johne XX III ، أو الاستماع إلى Pablo Casals وهو يعزف تجعل البعض يشعرون بتكامل روحى أكثر و بإتصال أكبر مع أنفسهم ومع خالقهم والكون المحيط بهم . ورغم أننى أفضل أن أستشهد بأمثلة لطيفة حول هذه الظاهرة ، فيجب التسليم بأن Adolf Hitler كان يملك ذلك التأثير على العديد من مواطنيه .

يمكن إثارة المعانى الروحانية الثلاثة جميعها . ففى بعض الحالات ، نجد أن الشخصيات القادرة روحانياً تقود الناس تجاه الكشف عن بعض الحقائق الكونية .فأحياناً ما يُثير الشخص المؤثر روحانياً حالة متغيرة من الإدراك . ذلك حيث أنه يظهر من وقت إلى آخر ما يُسمى بـ "وباء العدوى الإيحائية " ألا وهو : أن الناس التى تتأثر بالفرد الروحانى يمررون الانعكاسات الروحانية إلى غيرهم من الأشخاص . ولقد إنتشر العديد من الأديان ، فى الواقع ، من خلال تلك الانعكاسات التأثيرية (الكاريزمية) وحدها والتى تدور وتتوسع بدورها بين وبواسطة إتباع ذلك الفرد الروحانى، وهؤلاء الأتباع ينقلونها بدورهم لأتباعهم هم أيضاً .

وغالباً ما يبدو أن القادة الدينيين العظام – ومن بينهم كونفوشيس ، Confucius بوذا Buddha ، *المسيح* Christ ، القديس جوان saint Joan – قد وصلوا إلى مستوى من الإدراك ، والتواصل بباقى أطراف العالم الذى

يعيشون فيه ، وحالة من إنكار الذات والتى تمثل التواجد الروحانى المثالى* . ومن الواضح ، أن مسألة بلوغ ذلك المستوى هى الحالة التى تحرك وتحفز الملايين من الأشخاص الذين يعكسون ألوان الطيف الخاصة بالثقافات المختلفة بهدف المجاهدة لتحقيق حالة من الروحانية أو التأكيد على ممارستهم الروحانية الشخصية . ومما لا شك فيه ، أن هناك فئات معينة من الأفراد المفعمين بالشعور الروحانى ، وإحساس بالتواصل مع الكون المحيط بهم ، وقدرة على جعل المحيطين بهم يشعرون أنهم أنفسهم قد مسهم ذلك الشعور الروحانى ، والشعور بتكامل روحانى وذاتى أكثر ، أو الإنقياد تجاه علاقة رفيعة بما يفوق الطبيعة (الماورائيات) . ومهما كانت الآلية التى تتم بها تلك العملية الروحانية – والتى يسيطر المصطلح "كاريزما" على قدر كبير منها – فإن عملية "التواصل مع الروحانيات" تلك تشكل محتوى مهم يساهم فى التوصيل للناس الهدف الذي وراء مسعاهم وربما الأكثر أهمية من ذلك ، هو كيفية الاستمرار فى السير على الدرب الصحيح . ولكن أياً كانت نوعية القوى الذهنية التى قد تكون إنعكست فى إنجازات **Buddha** أو **Christ**، فيبدو من الواضح أن مسألتى "حل المشكلات" أو "صنع المنتجات" لا يمثلان الوصف الصحيح ، فى حين أن التوصل إلى "حالة كينونية" معينة هو التعبير الأكثر ملائمة .

إن المسح الذي قمت به المختصر هذا ، يؤكد على أن "الكلمات"و"الأمثلة" الخاصة بالروح يمكنها أن تعطى عدداً هائلاً من أنواع القدرات البشرية ، والإنجازات ، والرغبات التى يقع بعضها على الأقل خارج نطاق مشروع تحديد أنواع الذكاء البشري الإضافية . أولاً، لقد قمت عمداً بتعريف "الذكاء" خلال مصطلحات حيادية (لا شر ولا خير)، بمعنى أنه لا يوجد ذكاء أخلاقي أو غير أخلاقي فى حد ذاته ، كما يمكن تخصيص

---

* من المهم هنا أن نضيف فى مجال الروحانيات و القادة الدينيين من المنظور الإسلامى الرسول الكريم محمد بن عبد الله عليه الصلاة و السلام، المبلغ عن ربه رسالة الإسلام إلى البشرية.

الذكاء الى إما الاستخدامات الموالية للمجتمع أو الإستخدامات المعادية لـه . وبالتالى ، فإنه لا يعتبر أمراً سليماً أن نطلق على أى هيئة روحانية خاصة صفة "ملائم" أو "غير ملائم" على أساس التمسك بالميثاق الأخلاقى .وكما أنه لا يمكن ربط الذكاء الشخصى بالنظام الاجتماعي أو السياسى الخاص ، فإن تحصيل مجموعة معينة من المعتقدات أو أدوار خاصة داخل نظام ديني معين، لا يمكن إعتباره مؤشراً على التمتع بقدرة ذكاء خاصة . ومن نفس المنطلق ، فإن الوصول إلى حالات ظاهرية خاصة لا ينبغى أن تصف الفرد بأنه ناجح أو فاشل فى حالة ذكاء معينة . فالمرء يمكنه أن يتمتع بذكاء رياضى أو موسيقى مرتفع دون إظهار أى حالة تأثيرية أو معرفية؟ وبالمثل فإن الإدعاء بأن شخص ما "يفكر بطريقة رياضية" أو يشعر بشعور موسيقى" هو إدعاء خالى من أى معنى إلا إذا أظهر ذلك الشخص قدرته على حل المشكلات أو صنع المنتجات .

وفى النهاية ، فإنه فى الوقت الذى تبرهن فيه قدرة عقلية معينة مؤثرة على الآخرين على أنها وسيلة فعالّة من وسائل غرس حالة من أنواع الذكاء ، فإن ذلك الذكاء – مع الدقة فى التعبير – لا يُشكّل تجسيداً لقدرة خاصة .فعلى سبيل المثال ، فإننى إذا لم أكن أتمتع أو أُظهر شخصياً ذكاء خاصاً بين الأشخاص ، فإننى قد أكون قادراً على الحث على تنمية عملية الفهم المتبادل لدى الآخرين ببساطة عن طريق التصرف بطريقة غير متوقعة أو معادية للمجتمع . ومن ناحية أخرى ، فإننى قد أتمتع بذكاء رياضى بارز، ولكنى غير قادر على مساعدة أى شخص آخر فى تملك ناحية المحيط (المجال) الرياضى . إن تعريفى للذكاء يصبح متسعاً بشكل غير لائق ، إذا كان من المتوقع أن يحيط بتأثير الفرد (أو إنعدام التأثير) على الآخرين .

وعند محاولتى طرح إمكانية وجود ذكاء روحانى ، فإننى قد أصابني الذهول عن مواجهتى للطبيعة المثيرة للمشكلات الخاصة بـ "محتوى" هذا الذكاء الروحى ، وإمكانية ربطه بالملامح التأثيرية والظواهرية ، وادعاءاته التى غالباً ما تكون متميزة ، لكن ينقصها البرهان فى نفس الوقت وفقاً لقيمة

المصداقية ، والإحتياج إلى وضوحها جزئياً عبر تأثيرها على الأشخاص الآخرين . وللتعامل مع ذلك الإطار المهم في الحياة ، فإننى أجد أنه من المريح أكثر الحديث عن إمكانية الاشتراك فى التفكير فى القضايا الكونية والتى قد يكون الدافع ورائها هو الألم ، والتجارب الجمالية النفسانية والشخصية القوية ، أو الحياة داخل مجتمع يؤكد على التفكير والتجارب الروحانية . يجب أن أكون صريحاً وأعترف بأننى أيضاً منزعج إلى حد ما من مسألة تشابهى مع العديد من المغتصبين والمحتالين الذين يستحضرون العملية الروحانية وكأنها حقيقة معروفة ومعطاة ، بدلاً من كونها ظاهرة معقدة بدرجة هائلة والتى تتطلب تحليل دقيق وأكثر من مجرد لمسة من الاستسلام أو الخضوع . ولازلت لا أريد المجازفة بالإزالة المبكرة لمجموعة من القدرات البشرية التى تستحق أن توضع فى الاعتبار داخل نظرية خاصة بأنواع الذكاء المختلفة . ويبدو أنه من المنطقى والمسئولية أكثر توزيع تلك المساحة المخصصة للقدرات الروحانية الموجودة "داخل الروح" على أنواع الذكاء الأخرى ، ثم يتم تطبيقها بأسلوب متجانس وودى على الذكاء للعالم بالتاريخ الطبيعى ، والتأكيد على كيفية نجاح نوع الذكاء المرشحة فى مسيرتها . وخلال القيام بذلك ، فإننى أعتقد أنه من الأفضل طرح المصطلح "روحانى" جانباً ، مع مَضَامينه ومشكلاته الواضحة المدعاة ، ونتحدث ، بدلاً من ذلك ، عن ذكاء يكشف عن طبيعة الوجود فى أثوابه (هيئاته) المتعددة . وبالتالى فإن الاهتمام الواضح بالأمور الدينية أو الروحانية قد يعتبر أحد متغيرات – وغالباً أهم المتغيرات – للذكاء الوجودى .

الذكاء الوجودي والمعايير الثمانية

Existential Intelligenc and The Eight Criteria

إن الذكاء الوجودي – أو الإهتمام بالقضايا "المطلقة والأساسية" يبدو أكثر القوى الإدراكية غير الغامضة للذكاء الروحانى ، ذلك لأنها لا تشتمل على الملامح التى – وفقاً لتعريفى – ليست ملائمة فى عملية دراسة وتأمل "الذكاء العقلية" . فإذا كانت تلك الصياغة تحتوى على الصفات المؤهلة ، إذاً يمكننا التحدث بشكل رسمى عن "الذكاء الوجودى" ؛ أما إذا لم تكن كذلك ، فإن إجراء المزيد من الدراسات التأملية للمملكة الروحانية سيعد أمراً غير ضرورى .

دعونى أبدأ بإقتراح "قدرة عقلية جوهرية" خاصة بالذكاء الوجودى المرشح هنا وهى : الذكاء على تحديد وضع ذات المرء مع الأخذ فى الاعتبار أبعد حدود الكون – من حيث الحدود غير المتناهية الكبر والحدود غير المتناهية الصغر – والذكاء المرتبط بتحديد وضع ذات المرء بالنظر إلى تلك السمات الوجودية لحالة الكائن البشرى مثل : أهمية الحياة "معنى الموت"، المصير النهائى للعالم النفسى والعالم المادى ، وتلك التجارب العميقة كحب شخص آخر أو الإنغماس الكلى فى أحد الأعمال الفنية . لا حظ أنه لا يوجد إتفاق هنا بشأن الحصول على الحقيقة المطلقة ، ليست أكثر من أن الشخص المسئول عن نشر الذكاء الموسيقى يجب أن ينتج أو يفضل أنواع معينة من الموسيقى . بدلاً من ذلك يوجد صنف من المحتمل أن يشترك فى

الاهتمامات "بالماورائيات" وهى قدرة يمكن إثارتها ونشرها فى ظل ظـروف معينة.

لقد لاقت تلك الحالة من الذكاء التقدير داخـل كـل ثقافـة بشـرية معروفة . تخلق الثقافات الأنظمة الدينية والمادية والمبهمة (التى لا يـدركها العقل) بهدف تناول القضايا الوجودية ؛ وفى الأوقات الحديثـة أو الأوضـاع العلمانية فإن الأنظمة والأعمال العلمية والفلسفة والجمالية جميعها تتحدث عن مجموعة الاحتياجات البشرية . فالعديد من المجموعات المسـتمرة والأكثـر أهمية من الأنظمة الرمزية (مثل الأنظمة المتمثلـة فـى الطقـوس الدينيـة الكاثوليكية) التى تمثل التبلورات التى تتكون منها التجارب والأفكار الرئيسية التى إنتشرت داخل المؤسسات الخاصة . علاوة على ذلك ؛ يوجد داخل كـل نظام ثقافى مبتكر من تلك الأنظمة مراحل واضحة من السفسـطة . فـالمرء بإمكانه أن يصبح راهب داخل نظام دينى ، أو مبتدئ فـى الفلسـفة أو فـى الفنون التعبيرية، كما يمكن أن يعمل المرء كى يصبح عاملاً حرفياً باليوميـة أو يصل لمكانة خبير (قام **Pope John XX III** بتأريخ سنوات من التـدريب القاسي الذى قام به لإعداد نفسه فى الأوجه الوجودية أو الروحانية الخاصـة به وأصدره فى مجلته **Journal**) . كلما زادت درجة الفائدة التى يخصصـها المجتمع لوسيلة خاصة من وسائل التعبير والإستكشاف الوجودى ، تحـددت بثبات أكثر الخطوات الواجب إتباعها عند السير على طريق التفوق . وينبغى وجود إتفاق شامل وواسع الانتشار فى معظم الحالات على مستوى السفسطة الذى يظهره أحد المتعلمين ، أو طالب تحت التمرين ، أو طالب ملتـزم ، أو معلم ناشئ ، ومثل تلك التقديرات قد تتعدى ما يمكن إدراكه بحيـث تشـمل على سمات الوجود العاطفى والأخلاقى والإجتماعى ؛ ولكن تلـك النظريـة الانتقائية للتنسيق بين وجهات نظر ورؤى مختلفة يمكن أن تكون حقيقة فـى حالة إرتقاء موسيقى أو شاعر أو حتى عالم .

تُحيط التساؤلات المثيرة والمتشابكة بشكل خاص بتحقيـق الهويـة – الخاصة بالسنوات الأولى من حيـاة – الكـاهن البـوذى المسـتقبلي **Dalai**

Lama.(وأتباعه الآخرين) فإذا لم يؤمن المرء بإعادة تجسيد الحياة في صورة جديدة ، إذاً فعليه أن يختار بين الافتراض القائم على أن الفرد المرشح لأن يكون كاهناً بوذياً عادة ما يوهب طبيعة الحياة داخل المحيط الوجودى الروحانى وهو طفل صغير – أو الافتراض بأن مراحل تحقيق هويته الأولى (مهما كان بعُدُها) تؤدى إلى نبوءة اكتمال الذات . يُبرهن أحد الكهنة البوذيين (ديانة اللاما البوذية) المُرشحَين على جلَده ورباطة جأشة – خلال تحليل صحفى ظهر مؤخراً – باختياره الصائب للمقالات التي كانت تُخص الكاهن البوذى الذى تُوفّى مؤخراً ؛ وهنا يحدث النجاح لأنه بإمكان البوذى استرجاع الذكريات الشخصية إلى ماكان يُجسده الكاهن في أوقات سابقة فى الحياة . يوجد إفتراض أكثر علمانية ؛ حيث يثبت الكاهن المرشح تفوقه عندما يستطيع التمييز بين أشياء معينة في البيئة (أثر من آثار الذكاء الطبيعي بدلاً من الذكاء الخارق) المؤشر الجيد في التمييز الوجودي الحديث يتمثل في أن يظهر المرشح إهتماماً مبكراً بالقضايا الكونية ، وهو من النوع المنقول عن القادة الدينيين أمثال Gandhi أو عن علماء الفيزياء أمثال آينشتين Albert Einstein .

وعندما ينتقل المرء إلى الأوجه البيولوجية أكثر من المعرفة الوجودية ، فإن تقييم الدليل تزداد تعقيداً – ففى الوقت الذى وجدت فيه لمحات عن التجارب الرمزية والشعائرية فى حياة الرسل والمبشرين والأساقفة الأعلى فى العصور الحديثة فإن الاهتمامات الوجودية الواضحة من المحتمل أن تكون قد اكتسبت مكانة مرتفعة فى العصر الحجرى . وعند تلك المرحلة الارتقائية ، كان البشر قد امتلكوا مُخاً (عقلاً) قادراً على تخيل ما هو غير متناه ، وما يفوق الوصف ، إضافة إلى أنه قادر على التفكير فى القضايا الكونية التى تشكل محور الذكاء الوجودى . وإننى فى الواقع قد أظل أقترح حتى الآن بأن أحد الأنشطة الإدراكية الرئيسية التى كانت متوفرة بين الكائنات البشرية الأولى كان يمثل التصارع مع تلك القضايا الوجودية

وأقترح أيضاً أن قدراً كبيراً من الفنون والرقص والأساطير والدراما كان تناول أفكاراً كونية إما ضمنياً أو صراحة .

لم تظهر أية تقارير لغوية منطقية خاصة بالمملكة الوجودية إلا مع قدوم الأديان الرسمية والفلسفة النظامية . (والأفضل إعتبار الدراما والأساطير عمليات بحث ضمني عن الذكاء الوجودى) إن الذكاء الوجودي – كاللغة – تعد سمة مميزة من سمات الكائنات البشرية – فهى ميدان يفصلنا عن باقى الأجناس . وقد تكون تلك النوع من الذكاء قد ظهرت ونشأت من إحساس واعى – ودافع للمناضلة ضد – الفضاء المحدود والأوقات المنقضية التى لا تعود ثانية . وعموماً ، إن عملية الإدراك البشرية فى كامل حواسها قد تفترض مسبقاً إهتماماً متعلقاً بالقضايا الوجودية .

يوجد قدر قليل من المعلومات الخاصة بالتوابع الفسيولوجية للمعرفة المرتبطة بالقضايا الكونية . وهناك دلائل متفرقة ؛ بإقتراح الاستعانة بكلمات من المحيط الدينى (مثل المصطلحات التى تشير إلى " الإله " أو إلى الممارسات الشعائرية) قد تعمل على تنشيط قطاعات معينة من الفص الصدغى (جزء نصف كرة المخ) . ولكن الدليل الأكثر إيحائية قد يتأتى من الأفراد المصابين بصرع بالفص الصدغى والذين يظهرون مجموعة من الأعراض المتوقعة متمثلة في التقوى المفرطة (التزمت الديني) . فهم ينسبون للأشياء والتجارب الصغيرة أهمية كبيرة جداً ، حيث أنهم غالباً ما يستخدمونها كنقاط انطلاق لتوسيع مداخل مفكرتهم أو أجندتهم اليومية للتأمل وفحص أفكارهم أو للتحليق داخل الخيال الروحانى .

وهناك اعتقاد واسع بوجود جسم من الأدلة المتزايدة المبنية على كل من التجارب التي تتم إثارتها بشكل اصطناعي أو تحدث بشكل طبيعى ، والتى تتناسب مع السمات الظاهرية للاهتمامات الدينية الروحانية . فمثلاً ؛ عندما يخضع الناس لكمية هائلة من الآلام – سواء كانت مادية أو نفسية أو كلاهما – فإنهم يشعرون بانعزالهم ونفورهم من عالمهم الذي اعتادوا العيش

فيه ويخوضون الشعور برغبة حادة فى الوصول إلى ما هو أبعد من الأنواع العادية للتجارب ، ورغبة فى إعادة تركيز انتباههم (ربما يتعدى الألم الجسدى تماماً) ، وإعادة تقييم علاقتهم بالعَالَم النفسى والعالم الخارجى المحيط بهم . وقد تكون الأفكار بالقضايا الوجودية قد تطورت تماماً كى تمثل الإجابات على الألم الذى يحدث بالضرورة بحيث أنها قد تكون إحدى طرق تقليل الألم أو طرحه إعداد الناس بشكل أفضل وتزودهم بالأسلحة المناسبة للتعايش مع ذلك الألم . وبالتالى فعلى الأقل يمكننا أن نتخيل أن للاهتمامات المطلقة بعض الأهمية التكيُّفية.

وليس بأمر مثير للدهشة ، أن يكون الناس قد تعلمُّوا إعادة خلق تلك التجارب غير الاعتيادية التى تتجاوز العقل حتى فى حالة غياب الألم ، وذلك عن طريق تناول العقاقير المخدرة والحالات الدينية (كما في حالة المعلمين الروحانيين والمتصوفين الذين بإمكانهم التحكم فى حالات الأفراد النفسانية و يكونون قادرين على دخول مملكة الماورائيات "ما فوق الطبيعة" بشكل تطوعى) . فعملية التحصيل والتوصل إلى درجة محكمة من الانتباه والتركيز – كما فى "حالات تدفق الأفكار" – تتم أيضاً تحت سيطرة جزئية على الأقل من قبل المرء الذى يخوض التجربة . وفى ظل تلك الظروف المرغوب فيها بدرجة كبيرة ، فإن الناس تصبح منغمسة جداً فى عملية تنفيذ نشاط معين بحيث أنهم يفقدون الإحساس الكلى بالوقت والمكان الذى تجرى فيه الأحداث . وهنا تتحرك مراكز مخية معينة ونواقل عصبية خاصة خلال الوصول لتلك الحالات – سواء كانت قد تمت إثارتها بواسطة تعاطى مواد معينة ، أو الاشتراك فى هواية ما ، أو التحكم الخالص فى تلك الرغبة (الإرادة) .

وآخر الأدلة التى تم جمعها من الفحوصات والأبحاث النفسانية – تمثل صورة مختلطة. حيث أن بعض مضامين الشخصية تشتمل على أبعاد دينية أو روحانية ، وحصيلة تلك الأدوات تظل ثابتة النقاط ، ففى الواقع سنجد أنه حتى التوائم المتماثلة التى يتم تربيتها منفصلة عن بعضها البعض

– تظهر ترابط قوى فى درجة التدين ، وبالتالى فإن ذلك يشير إلى إمكانية وجود عنصر وراثى فى تلك القدرة العقلية . ورغم ذلك فلايزال غير واضح مسألة تحديد نوعية الشئ الذى يتم بحثه بواسطة تلك الأدوات وتحديد إذا ما يمكن اعتبار التقرير الشخصى دليل (مؤشر) موثوق فى صحته ويمكن الاعتماد عليه بشأن الذكاء العقلية الوجودي . وأنا أعلم ذلك دون أدنى محاولة لربط الذكاء الخاص بالقياس النفسي "بالقوى على أو الرغبة فى تنشيط" الذكاء الوجودى ، "رغم أن شعبية فيلم" **Forrest Gump** تشير إلى الاعتقاد الشعبى الذى انتشر جداً بشأن أن تلك القدرتين العقليتين بعيدتان تماماً، هذا إذا لم تكن متناقضة عن بعضهما البعض .

وربما أنه من المثير للدهشة ، أن " الذكاء الوجودى" يسجل نقاطاً جيدة بشكل منطقى ضمن المعايير الثمانية الموضوعة ، ومسألة إعتبار ذلك أنه نسخة مترجمة من الذكاء الروحانى تساعد على إزالة السمات الغامضة (المثيرة للمشكلات) والتى قد تؤدى بالتالى إلى إبطال صحة هذا البحث (المسعى) . ورغم الأدلة النفسانية التجريبية المتفرقة ، إلا أن ما يوجد بالتأكيد لا يبطل أو يلغى ما قد تكون سابقاً . وقد يبدو – حينئذ – أننى قد حصرت نفسى داخل حيز تحليلى . ورغم ذلك ، فإننى أشير فى النهاية وأستدل على أن هذا التنوع المحدد بشكل ضيق النطاق والخاص "بالذكاء الروحانى" يطلق عليه مصطلح "الذكاء الوجودى" ، وقد يكون مقبولاً جداً بعكس المصطلح المعروف على نطاق أوسع وهو "الذكاء الروحانى" .

منظور شخصى خاص

بالذكاء الروحانى

A Personal Perspective on Spiritual Intelligence

دعونى أتناول لغز الذكاء الروحانى" هذا من منطق شخصى آخر فكما هو مفترض سابقاً ، فإننى لا أشعر بأى ترابط شخصى بالمملكة الروحانية . حيث أننى لا أمتلك هوية دينية (رغم امتلاكي لهوية ثقافية) كشخص يهودى. وأننى أشعر بالخوف بقدر شعورى بالفضل تجاه الأشخاص الذين يرون أنفسهم (أو يراهم الآخرون) أفراداً روحانيين . فإننى أخشى غرابة المعتقدات التي ينتمون إليها كما أخشى من التأثيرات التى قد يمارسها الأشخاص الذين يتمتعون بكاريزما – قوة التأثير على من حولهم – (مثل **Jim Joney** أو **David Koresh**) غالباً على أتباعهم ذوى الحظ السيئ .

ورغم ذلك ، فلقد مررت على الأقل خلال إحدى فترات حياتى – ببعض التجارب التى يُنسبها الآخرون للأمور الروحانية فى مملكة الموسيقى. فإننى أشعر – خاصة عند إستماعى إلى أو ممارسة لبعض الأنواع الموسيقية المعينة باننى أفقد تواصلى مع الاهتمامات الدينوية ، وأقوم بتبديل تصوراتى للزمان والمكان المحيطين بى ، كما أشعر بتواصلى أحياناً مع القضايا ذات المضامين الكونية . أنني لا أقوم بتعريف تلك القضايا ؛ وفقاً للأشياء الطبيعية (كالجبال أو البحار) أو وفقاً لقضايا كونية معينة (كمعنى الحياة والموت) ، فهناك أنواع من الترابطات والتى غالبا ما يذكرها محبو الموسيقى ونوعية معينة من المؤلفين الموسيقيين ، أمثال **Ludwig van Beethoven** و **Gustav Mahler** . لكننى أشعر بالتأكيد أننى أواجه السمات الشكلية لتلك الممالك الوجودية ، كما أشعر بالتدعيم النفسي وزيادة المكانة والتواضع خلال تلك

المواجهة .ولدى – رغم قلة حدتها – ردود أفعال مشابهة عندما يتم إتصالي بالأعمال المعمارية أو الفنية المرئية ، أو بالأداءات الدرامية المثيرة للذكريات ، أو بأعمال كتاب (مؤلفين) ذوى شهرة قوية جداً . ولقد مررت ببعض من تلك التجارب – مع إختلاف المملكات – عند تواصلى مع الناس الذين أحبهم خاصة فى الأوقات التى أطلق فيها العنان لمشاعر الحزن أو السعادة .

إن قرارى الخاص بالتحدث حول "الذكاء الوجودى" أو "الذكاء الروحى" يتضمن حكماً ذو معنى لغوي . فبإمكانى القول ، أنه قد تمت إثارة قدراتى العقلية الفنية أو اللغوية أو الموسيقية ، وأننى ، بناء على ذلك ، قد تمت زيادة درجة حساسيتى تجاه القضايا الكونية ، تماماً مثلما قد تتم إثارتى لإيذاء شخص ما أو التبرع بمدخراتى لسبب خيرى . ويمكننى القول أيضاً ، أننى أمتلك رد فعل عاطفى قوى تجاه عمل معين . وفى تلك الحالة ، فإننى لن أتحدث سواء عن "الذكاء الوجودى أو الروحانى . أستطيع أن أقرر بتبريرات متساوية ، بأنني أثناء إندماجي الكثيف مع أشياء فنية أو مع من أحبهم ، أباشر ذكائي الروحاني أو الوجودي . وهذا ما قد أفعله إذا كنت أعمل برفقة شخص مشهور أو معلم دينى . وبالتالى ، فإننى أخوض أنواع معينة من الأحداث المثيرة ، أو التجارب والأشياء "المؤثرة" ، والتى تنشط الذكاء الوجودى لدى . وتتضح وجهة النظر هذه بصورة قوية خلال السطور التالية المقتبسة عن **Marcel Proust** :-

"إن الشئ الذى لا يمكن تصوره هو أن قطعة من أعمال النحت أو قطعة موسيقية والتى تمنحنا شعوراً باننا لدينا رغبة فى أن نكون أكثر صدقاً وصفاء وإطراء لا ترتبط بأحد الحقائق الروحانية الثابتة ، وإلا أصبحت الحياة بلا معنى ."

ورغم مدى جاذبية ذلك النوع التاسع من أنواع الذكاء ، إلا أننى لا أضيف "الذكاء الوجودى" إلى القائمة . حيث أننى أجد أن تلك الظاهرة مربكة بدرجة كافية ، كما أن المسافة بينها وبين أنواع الذكاء الأخرى شاسعة بدرجة كافية أيضاً لتوخى الحذر على الأقل فى الوقت الحاضر . لكننى راغب – فى

معظم الأصول – عند استحضار نموذج "**Fellini-style**" فى المزاح عندما أشير إلى وجود "ثمانية أنواع ونصف" حتى الآن من أنواع الذكاء .

الملخص النهائى

إنني لا أستطيع – بالطبع – الإدعاء بأنني أمتلك حصرياً مفهوم الذكاء المتعدد ، رغم أننى أزعم مسئوليتى بشأن تطوير الفكرة . فكما هو الحال مع القائمة الأصلية لأنواع الذكاء فأنني أرحب بالقراء وفحصهم للمعايير التى أطرحها كما أرحب بالنتائج التى يتوصلون إليها بشأن مدى توفر التوصيفات المناسبة "بصدق" فى أنواع الذكاء الوجودية أو الروحانية أو الطبيعية (أو غيرها) كى تنضم لقائمة أنواع الذكاء الأخرى . لكننى لدى شعور قوى أن الأحكام الصادرة ينبغى أن تبنى على التطبيق الدقيق لمجموعة المعايير المطروحة . فإذا كان عليهم إتخاذ قرارات جدية بشأن أنواع الذكاء تلك ، إذا فينبغى أن تقوم على أساس فحص وتقصى عقلانى غير متحيز للمعلومات المتاحة أمامهم ، وهى مسألة قد بدأتها عند إصداري لـ "**Frame of Mind**" والتى أباشر بطرحها هنا .

obeikandl.com